

AL-HALLAQ

NUR AL-HIDAYAH

R

2271
-2612
H3
368

2271.2612.H3.368
al-Hallāq
Nūr al-Hidāyah

[illegible]



32101 072539370

نور الهداية

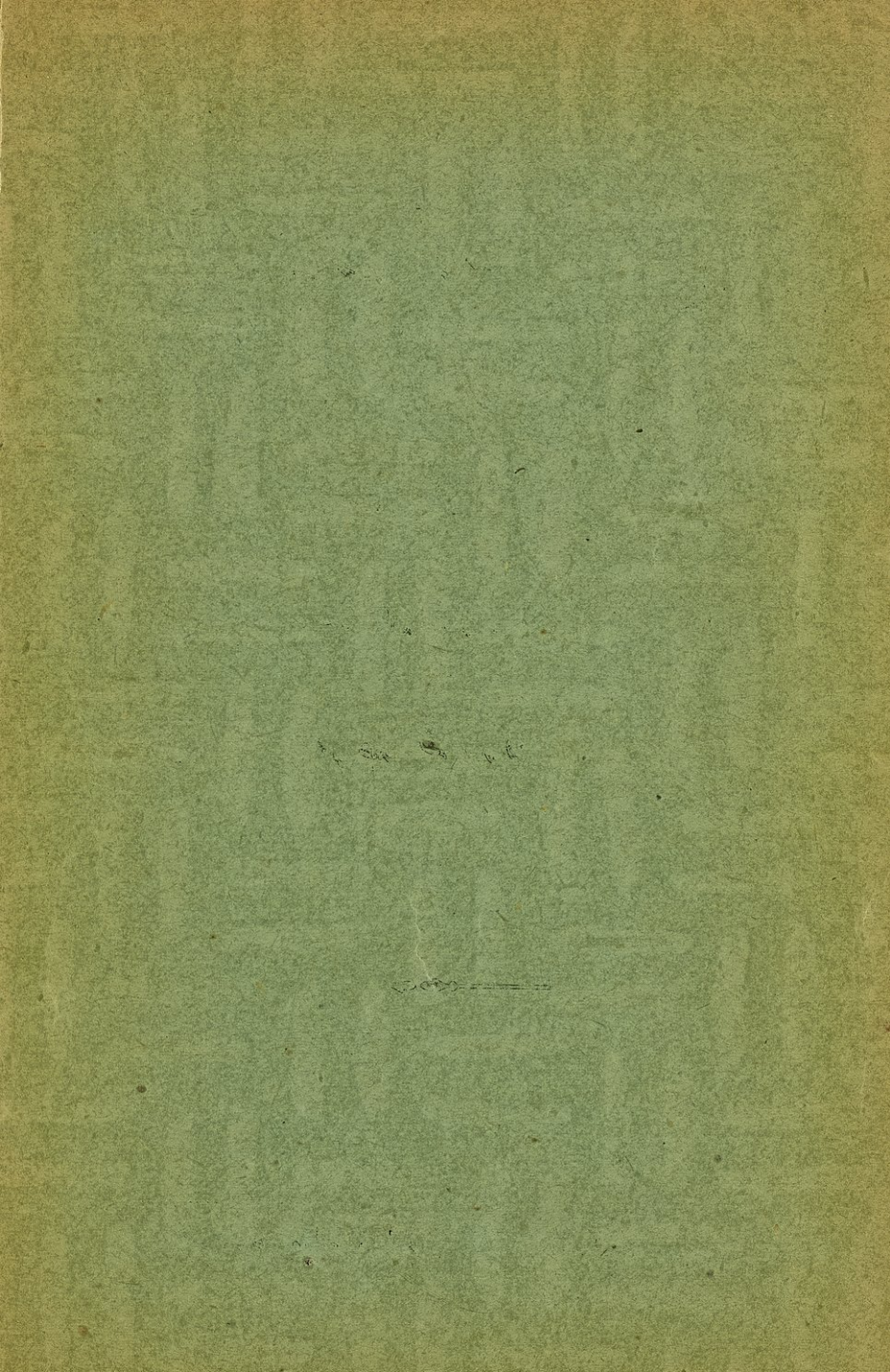
للمؤلف

خادم العلم الشريف

عمر عبد الله الحارثي



٥١٣٥٢ مطبعة العرفان : صيدا ١٩٣٣ م



١٤٤٧
al-Hallāq, 'Umar 'Abd Allāh

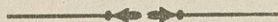
نور الهداية

Nūr al-hidāyah

للمؤلف

خادم العلم الشريف

عمر عبد الله الحارثي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد الأحد والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه (اما بعد) فإن اهم ما يشتغل به العاقل اللبيب هو السعي فيما ينجي مهجته من النار والكدر فيما ينقي ضميره من الاكدار ليصل بطيب وجدانه الى ما وصل اليه اهل البصيرة والاعتبار وليس ذلك إلا باتقان عقائد التوحيد على الوجه المقرر عند اهل السنة والعارفين الاختيار لأنه لا يمتنع عن التلبس بالصفات الذميمة إلا بحسن الاعتقاد المطوي في لبه وقلبه ولما اختلست الفرصة بموافقة الاقدار وفقني الله تعالى إلى بيان ما يجب على العاقل البالغ معرفته من اصول الدين قبل الفروع والله اسأل ان ينفع بها اخواني المسلمين ويبطل بها ضلال المضلين

﴿ مقدمة ﴾

اعلم ان المعرفة قسمان (عرضية وذاتية) فالعرضية هي انك لو نظرت إلى بناء رفيع علمت أنه لا بد له من مقوم بناه ورتبه حسبما رأيت ولا يضرك الجهل في ماهية الباني وحقيقته وهذه هي المعرفة المطلوبة في حقه تعالى وأما المعرفة الذاتية فلا

سبيل اليها ابدا تعالى الله سبحانه لأن الرسل صلوات الله عليهم لم يذكروا حينما سئلوا عن رب العالمين الا كونه خالقا للسموات والارض أعطى كل شي خلقه ولو كان سبحانه جسما مركبا من الاعضاء لكان تعريفهم عنه بتلك الاعضاء خصوصا لما سأل فرعون موسى عليه السلام بقوله (فمن ربكما يا موسى . قال ربنا الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى) ومن تدبر القرآن الكريم عرف أن الرسل عليهم السلام لم يعرفوه سبحانه وتعالى إلا بصفاته وأفعاله وآثاره حسب الطاقة البشرية لأن التعريف الذاتي في الأشياء المخلوقة لا يكاد يوجد فأولى أن لا يتم التعريف الذاتي في الخالق لتلك الحقائق المجهولة عندنا

بقي ان نقول ان معرفة الله تعالى نظرية عقلية لا يمكن تحصيلها إلا بالدليل وليست ضرورية بمعنى ان معرفته تعالى من غير دليل ولا دليل لنا على معرفته سبحانه إلا هذا العالم المشاهد بما فيه من السموات والأرضين والجبال والبحار والمعادن والنبات والحيوان والإنسان لأنه اكتسبنا النظر والاستدلال انه لا بد لهذا العالم من مدبر يدبره وموجد يوجده ومرب يربيه ومبقي يبقيه وإنني أبين لك ايها القارئ الكريم طريق النظر من جهة الإنسان نفسه لتقيس عليه غيره من الدلائل فأقول : ان كل احد يعلم بالضرورة انه ما كان موجودا قبل بل معدوما والمعدوم

لا بدّ له من موجد وذلك الموجد ليس هو نفسه ولا الأبوين ولا
سائر الناس لأن عجز الخلق كلهم عن مثل هذا التركيب الانساني
معلوم بدهة فلا بد حينئذ من موجد يخالف هذه الموجودات
فلا يماثلها في شيء حتى يصح منه إيجاد هذه الأشخاص وهو الله
ربنا وربكم وللسلف طريق لطيفة في هذا الباب منها ان أبا
حنيفة رضي الله عنه كان سيفاً على الدهريه و كانوا ينتهزون
الفرصة ليقتلوه فدخلوا عليه الجامع يوماً وسيوفهم مسلوطة وهموا
بقتله فقال لهم فوراً إني أسألكم مسألة ثم افعلوا بي ما شئتم فقالوا
له رضي الله عنه هاتاه فقال ابو حنيفة ما تقولون في رجل يقول
لكم إني رأيت سفينة مشحونة بالأحمال مملوءة من الأثقال
قد احتوشتها امواج متلاطمة ورياح مختلفة والسفينة على حالها
تجري مستوية وليس لها ملاح يحريها ولا متعهد يدفعها هل يجوز
ذلك في العقل قالوا لا هذا شيء لا يقبله احد فقال ابو حنيفة
رضي الله عنه يا سبحان الله إذا لم يجوز أن تجري السفينة من غير
ملاح ولا متعهد فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف
أحوالها وسعة اطرافها وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ
ومهيمن فبكوا جميعاً وتابوا عن الافتراء وسئل مرة فتمسك
رضي الله عنه بأن الوالد يريد الذكر فيكون أنثى وبالعكس
ولا يريد الولد فيعطيه الله اولاداً كثيرة وبالعكس ومنها ما تمسك

به احمد بن حنبل رضي الله عنه بقوله قلعة حصينة ملساء لا فرجة
 فيها ظاهرها كالفضة المذابة وباطنها كالذهب الا يريز قد انشقت
 الجدران وخرج منها حيوان سميع بصير لا بد له من فاعل . أراد
 بالقلعة البيضة وبالحيوان الفرخ ومنها سؤال هارون الرشيد
 الإمام مالكا عن الاستدلال على وجوده تعالى فاستدل باختلاف
 الأصوات وتعدد النغمات وتفاوت اللغات وتباين الوجوه والأجسام
 ومنها انه سئل اعرابي عن الدليل على وجوده تعالى فقال البعرة
 تدل على البعير والروث على الحمير وآثار الأقدام على المسير فسماء
 ذات ابراج وارض ذات فجاج وبحار ذات امواج أما تدل على
 الصانع الحكيم العليم القدير وقال آخر عرفته بنحلة فأحد طرفيها
 يعسل والآخر يلسع ومنها ما يروى ان بعض الزنادقة المنكرين
 كشف حاله عند جعفر الصادق رضي الله عنه فقال جعفر هل
 ركبت البحر قال الرجل نعم قال رضي الله عنه هل رأيت أهواله
 قال بلى هاجت يوماً رياح هائلة فكسرت السفن وغرقت الملاحين
 فتعلقت انا ببعض الواحها ثم ذهب عني ذلك اللوح فإذا أنا
 مدفوع في تلاطم الأمواج إلى الساحل فقال جعفر رضي الله عنه
 لما سمع منه ذلك كان اعتمادك من قبل الغرق على السفينة والملاح
 ثم على اللوح فلما ذهببت عنك هذه الأشياء هل أسلمت نفسك
 للهلاك أم كنت ترجو السلامة بعد قال الملعون كنت ارجوها

قال جعفر رضي الله عنه ممن كنت ترجوها بعد خيبة اعتمادك على تلك الأشياء الظاهرة فسكت الرجل قليلا ثم قال سيدنا جعفر رضي الله عنه ان الصانع الحكيم هو الذي كنت ترجوه في ذلك الوقت وهو الذي نجاك من الغرق فأسلم الرجل على يده رضي الله عنه ومنها سؤال الشافعي رضي الله عنه عن دليل الصانع سبحانه فقال ورقة الفرصاد^(١) طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد عندكم قالوا نعم ، قال الإمام تأكلها دود القز فيخرج منها الابريس (الحرير) وتأكلها النحل فيخرج منها العسل والشاة فيخرج منها البعر والغزال فينعقد في نوافجها المسك فمن الذي جعل هذه الأشياء كذلك مع ان الطبع في الورق واحد فاستحسنوا منه ذلك وأسلموا على يديه وهم سبعة عشر وقد سبق انني قلت ان النظر في السموات والأرض يدل على الحكيم الأول سبحانه ولهذا ندبنا الشارع غير اني اقول لا بد من استكمال الشروط في الناظر والمستدل وانعدام الموانع ليتضح له الدليل على وجوده تعالى ولما كان ذلك متعسراً أحببنا أن نبين بهذه الرسالة ما صح اعتقاده عند أهل السنة مع دليله ليكون معتقدا للمكلفين من المسلمين . وأول الشروع نعرف للقارئ الكريم علم التوحيد ثم نسرده ما يجب في حقه تعالى من الكمال وما يجب في حق

الرسول صلوات الله عليهم ثم نبين له مسألة القضاء والقدر والقيامة فنقول علم التوحيد يبحث فيه عن معرفة الله بآثاره وصفاته وعما يجب في حقه تعالى وما يجب في حق الرسول صلوات الله عليهم وعن الأمور السمعية كالقيامة وموضوع علم التوحيد ذات الله وذات الرسول من تلك الحيثية فيجب على المكلف أولاً ان يعرف الله الذي خلقه أي يعرف ما يجب له من الكمال وبه يعرف ما يتنزه عنه ذو الجلال والإكرام تفصيلاً وإجمالاً . هذا معنى معرفة الله إذ لا يعرف الله إلا الله وكل ما خطر في بالك فالله بخلاف ذلك فالواجب في حقه تعالى اجمالاً هو الجزم بأنه تعالى متصف بجميع الكمالات متنزه عن جميع سمات النقص

✽ باب ما يجب في حقه تعالى ✽

اعلم انه يجب في حقه تعالى عشرون صفة ثبتت في النصوص القطعية أولها الوجود بمعنى ان ذاته تعالى موجودة دل على وجوده هذه المخلوقات العلوية والسفلية وما انطوى فيهما من النظم البديعة له مقاليد السموات والأرض والثانية القدم بمعنى ان الله تعالى لا أول لوجوده وليس وجوده مفتتحاً ثم اعلم ان المراد من القدم القدم الذاتي لا القدم الزماني لأنه تعالى لا يحويه مكان ولا يحده زمان دل على قدمه تعالى وجود الحوادث المخلوقة لأن الموجد لها ينبغي أن يكون غيرها وان يكون وجوده قديماً

كان الله ولا شيء معه والثالثة صفة البقاء بمعنى انه تعالى لا آخر
 لوجوده كما انه لا أولية له دل على ذلك انتظام خلقه وبقاؤه متجدداً
 متطوراً من حال إلى آخر لأجل مسمى لأن هذا التجدد والتطور
 لا بد له من مجدد وهو الله الباقي سبحانه ويبقى وجه ربك ذو
 الجلال والإكرام أي ذاته هي الباقية وكل شيء هالك والرابعة
 مخالفته تعالى للحوادث بمعنى انه ليس بجوهر ولا عرض ولا جسم
 ولا يشبه شيئاً من هذه الأشياء دل على ذلك انه لو أشبه خلقاً
 من مخلوقاته لكان حادثاً ولو كان حادثاً مماثلاً لخلقته لما وجد شيء
 من هذا العالم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير والخامسة قيامه
 تعالى بنفسه بمعنى انه لا يحتاج إلى محل يقوم به تعالى ولا إلى موجد
 يوجد به بخلاف المخلوقات فإنها لا بد لها من محل تقوم به وموجد
 يوجد لها دل على ذلك افتقار المخلوقات له تعالى وانه لو كان محتاجاً
 ومفتقراً لشيء يقوم به تعالى لكان حادثاً ولو كان حادثاً لما وجد
 هذا العالم البديع . يا ايها الناس انتم الفقراء إلى الله والله هو الغني
 أي الغني عن كل ما سواه من المكان وغيره والسادسة الوحدانية
 بمعنى انه تعالى واحد في ذاته ليس متعدد مندرجاً تحت العدد
 وليس مركباً من اجزاء تعالى الله سبحانه دل على ذلك وجود
 العوالم لأنه لو لم يكن واحداً لكان متعدد ولو كان متعدد لم
 يوجد شيء من هذه العوالم (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)

والمراد بالفساد هنا لتكون الآية دلالتها قطعية هو عدم وجود السموات والأرض وما بينهما وكما انه واحد في ذاته واحد في صفاته بمعنى انه ليس لصفاته تعدد أي قادر بقدره واحدة عالم بكل شيء بعلم واحد الخ

وليس لغيره تعالى صفة كصفته وهو واحد في افعاله بمعنى انه لا يشار كه في إيجاد الأفعال الخيرية والشرية غيره وأما نسبة الفعل اليها فهي من طريق الكسب والاكتساب والميل والرضى والحاصل ان الفعل له نسبة وجودية وهي مخصوصة بالموجد الخالق سبحانه وتعالى وله ايضا نسبة كسبية وهي مناط الثواب والعقاب لأنها ميل الانسان ونيته واستعداده واعلم ان كل ما يسند من الأفعال إلى بني البشر فهو من هذه النسبة الكسبية وكل ما يسند إلى الله تعالى من هذه الأفعال ايضا فهو من تلك النسبة الوجودية بمعنى انه هو الذي أوجدها على أيدي خلقه ليميز الخبيث من الطيب عند نفس الانسان الذي لا يوقن إلا بالمشاهدة والمعاينة هذا معنى الوحدانية في الذات والصفات والأفعال . وللوحدة معان أخر لا تصح في حقه تعالى كالوحدة الجنسية وذلك كأن تقول هذا الانسان والفرس واحد أي في الجنس الذي هو الحيوان والوحدة النوعية كأن تقول زيد وعمرو واحد أي في الانسانية والوحدة الشخصية مثل ان تقول عن زيد انه واحد مع انه

مركب من لحم ودم وعظم أي واحد بشخصه بمعنى ان مشخصاته لا توجد في غيره وكل هذه الأقسام الثلاثة منزّه عنها تعالى لأنه ليس بجنس ولا نوع ولا شخص تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً فثبت له تعالى حينئذ الوحدة الحقيقية ولا واحد سواء بهذا الاطلاق ثم اعلم ان الأولى من هذه الصفات نفسية وهي الوجود بمعنى ان وجوده ليس بزائد على ذاته تعالى لأنه واجب الوجود . وواجب الوجود لا يكون إلا واحداً من كل وجه ولا تتعقل الذات إلا بصفة الوجود والخمسة الباقية كالقيد إلى آخره سلبية بمعنى انها سلبت باسنادها إلى الله أمر لا يليق به وسميت سلبية لأنها مفسرة بمعان سلبية كالقيد بمعنى عدم افتتاح الوجود والمخالفة للحوادث بمعنى عدم المماثلة الخ . مثاله قولك الله قديم فإنه يفهم من هذا الاسناد انك سلبت الأولية وافتتاح الوجود عن اعتقادك في الله تعالى واعتقدت له عدم الأولية وعدم افتتاح الوجود للدليل السابق وعلى هذا فقس كل الصفات الخمسة السابقة واعلم ان هذه الصفات السلبية الخمسة ليست قائمة بذات الموصوف لأن معناها كما قلنا سلبى أثبتت اعتقاد الكمال المتصف به تعالى سواء اعتقد المكلف هذا أم لا والسابعة القدرة وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن واعدامه على وفق الإرادة وكان الله تعالى في القدم متصفاً بالقدرة ولا يلزم من

اتصافه بها إيجاد هذه الحوادث في القدم كما انه لا يلزم على من
اتصف بملكية الكتابة او الشعر إيجاد الكتابة او الشعر بل له
أن يوجد الكتابة او الشعر متى شاء وهذا في القادر القديم أولى
دل على ذلك وجود هذه المخلوقات بهذا الترتيب العجيب لأنه
لو لم يكن متصفا بالقدرة لكان متصفا بالعجز ولو كان متصفا
بالعجز لما وجدت هذه العوالم كيف وهي موجودة على احسن
نظام واتم ترتيب ان الله على كل شيء قدير والثامنة الارادة وهي
صفة قديمة قائمة بذاته تعالى يخصص الله بها الممكنات والحوادث
ببعض ما يجوز عليها من وجودها في هذا المكان دون غيره أو
انعدامها بساعة كذا دون غيرها من الساعات إلى آخر ما يطرأ
على هذا العالم من الحركة والسكون والكون والفساد فكلها
بتخصيص الله تعالى دل على ذلك إحكام الكائنات وإيجادها على
هذه الفطرة التي لا تبديل لها فعال لما يريد لأنه لو لم يكن متصفا
بالارادة لكان متصفا بالكراهة ولو كان متصفا بالكراهة لما
وجدت هذه العوالم الناطقة بلسان حالها على حسن اختياره
وارادته سبحانه إنما امره إذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون
والتاسعة العلم وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى أي ثابتة لذاته
يعلم الأشياء اجمالاً وتفصيلاً من غير سبق خفاء لا تخفى عليه
خافية يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور دل على ذلك وجود

هذه المخلوقات بهذا الترتيب العجيب الذي يدل على انه صدر
 عن عليم حكيم لا عن صدفة او تطور مادة عمياء ولو فتشت
 احوال أبسط مخلوق وعلمت كيف يتناول غذاءه وغير ذلك
 لأدعنت ان هناك ملها عالما يسوقه إلى ما ينفعه ويبعده عما
 يضره واعلم ان علم الله تعالى القديم لا يتغير بتغير المعلوم بخلاف
 علمنا الناشئ عن التصورات والتصديقات والعاشرة صفة الحياة
 وهي قائمة بذاته تعالى توجب له الاتصاف بالعلم والإرادة
 وغيرهما من كل كمال دل على ذلك وجود هذه المخلوقات لأنه
 لو لم يتصف الموجد بالحياة لكان معدوما ولو كان كذلك لما
 وجد شيء من العالم تعالى الله لا إله إلا هو الحي القيوم ثم ان
 حياته ليست كحياتنا وهو واحد في صفاته لا احدي كنهه ان يتصف
 بمثلها كما سبق في الوجدانية والحادية عشرة صفة السمع وهي صفة
 قديمة قائمة بذاته تعالى يسمع بها كل موجود بغير اذنين وصماخ
 بمعنى انه تنكشف له المسموعات انكشافا تاما بلا تأثير حاسة
 تعالى الله الذي ليس كمثله شيء ان تكون له حاسة سمع لأنها
 صنعته ومعلوم ان الصانع يلزم ان يكون غير صنعته التي اخترعها
 بيده والله صانعنا وخالقنا ومن كماله ان يكون مخالفا لنا من
 كل وجه والثانية عشرة صفة البصر وهي قديمة قائمة بذاته تعالى
 يبصر بها كل موجود بغير عين وحدقة بمعنى انه تعالى تنكشف

له المبصرات انكشافا تاما ولا يلزم من قدم صفة السمع والبصر
لله تعالى قدم المسموعات والمبصرات كما لا يلزم من قدم العلم
والقدرة قدم المعلومات والمقدورات لأنها من الحوادث والحاصل
ان تعلق القدرة بالمقدورات على سبيل الایجاد وتعلق العلم
بالمعلومات على سبيل الانكشاف وهذا التعلق هو الحادث مع
المتعلق فيه من المبصرات والمسموعات والمعلومات والمقدورات
وقد ضربنا مثلا للتقريب في الكلام على القدرة فارجع اليه
والثالثة عشرة صفة الكلام وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى اي
ثابتة لذاته تدل على كل معلوم من غير واسطة حرف ولا صوت
و كلامه تعالى منزّه عن التقديم والتأخير وغير ذلك من صفات
الحوادث لأن كلامها ينقضي شيئا فشيئا لأنه من الأعراض وهي
غير قارة ويسمى كلاما لفظيا وللانسان ايضا كلام نفسي قائم
في نفسه يعبر عنه بالكلام اللفظي وأما كلام ربنا تعالى فننفي
نزل على قلب محمد عليه السلام فتراءت صورته على لسانه صلى
الله عليه وسلم لما حواه من الصفاء والتأييد الإلهي كما تترأى
صورة القمر العالي على سطح الماء ومدلول الصورة المنتقشة على
سطح الماء ومدلول القمر في اوج السماء واحد لأن كلا منهما
يدلان على القمر وهكذا الكلام النفسي الإلهي مدلوله ومدلول
الكلام اللفظي الذي ظهر على لسان محمد صلى الله عليه وسلم

واحد ولهذا نقول القرآن الكريم غير مخلوق

ولا ينقسم كلامه تعالى إلى امر ونهي ووعد ووعيد فإن قيل كيف ذلك وقد وجدنا القرآن الكريم منقسما إلى هذه الأحوال فنقول كلام الله في الأزل قبل الخلق صفة واحدة لأنه كما سبق واحد في صفاته لكن يسمى باعتبار التعلق بالمأمور به أمر أو يسمى خبرا باعتبار تعلقه بالمخبر به ويسمى كلام الله نهيا باعتبار تعلقه بالمنهي عنه ووعدا باعتبار تعلقه بالثواب ووعيدا باعتبار تعلقه بالعقاب إذا عرفت هذا فالتعلق هو المنقسم إلى امر ونهي وغير ذلك باعتبار مخاطبين مثاله لو اصطاحت مع عبدك على أنك لو نلفظت بكلمة (طب) كان هذا أمرا منك إليه بنزوله إلى السوق وخبرا بمجاء حدث ونهيا له عن التأخير ووعدا له أن اطاع بتكثير معاشه ووعيدا له أن عصى بتقليله فتكون الكلمة الواحدة التي هي (طب) المصطلح عليها مع العبد أمرا وخبرا ونهيا ووعدا ووعيدا باعتبار التعلق المصطلح عليه وهي بالحقيقة واحدة وهكذا كلام الله تعالى مع العبد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق صاحب الفطنة المعصوم الذي بلغنا كلام الله تعالى برسالاته التي لا تكتسب لأن طالب هذا الأمر الخطير إذا لم يفهم اصطلاح الحق الأول بواسطة اختصاصه تعالى له لا يمكنه أن ينال درجة النبوة أبدا والدليل على هذه الصفات أعني

السمع والبصر والكلام الكتاب والسنة واجماع الأمة المعبر ولا يقال
 انك استدلت على كلام الله تعالى بالكتاب القرآن وهو دور غير
 جائز في طريق الاستدلال لأن استدلال بالكتاب القرآن من حيث
 انه كلام نزل على محمد صلى الله عليه وسلم مقروء محفوظ بالصدور
 لا من حيثية الكلام النفسي وايضا لولم يتصف سبحانه بالسمع والبصر
 والكلام لزم ان يتصف باضدادها وهي نقائص والنقص على الله تعالى
 محال ان يتصف به فما ادى إلى المحال وهو عدم اتصافه بهذه الصفات
 محال ايضا فصدق المطلوب وهو اتصافه تعالى بها على وجه لا يثق بكماله
 إلى هنا تم ذكر صفة الوجود النفسية والصفات السلبية الخمسة وصفات
 المعاني القائمة بذاته تعالى وهي سبعة اولها القدرة وآخرها الكلام
 والمراد بصفات المعاني سواء كانت حادثة الصفات الموجودة بنفسها
 كبيض الجرم او سواده مثلا أو كانت قديمة كما في صفات الله
 تعالى من العلم والقدرة والارادة الخ . بقي علينا سبع صفات تسمى
 الصفات المعنوية وهي كونه قادرا ومريدا وعالما وحيا وسميعا وبصيرا
 ومتكلما وهي غير موجودة في نفسها الا انها لازمة للذات العلية
 ما دامت الذات متصفة بالعلم والحياة والقدرة والارادة والسمع
 والبصر والكلام

﴿ تنبيه ﴾ : معنى كونه عالما مثلا انها صفة أخرى غير صفة

العالم لكنها لم توجد استقالاتا ولم تكن معدومة عندما صرفا بل هي
 ثابتة وواسطة بين الموجود والمعدوم وقس باقي الصفات المعنوية على
 هذا التفسير وانته لا نها غير صفات المعاني واذا عرفت ما يجب في حقه
 تعالى تبين لك ضد هذه الصفات العشرين إذ الضد اقرب خطورا
 في ذهن من غيره فنزه ربك وقدسك عن اضداد هذه الصفات
 العشرين التي تؤدي إلى النقص الذي لا يليق به تعالى واعتقدانه
 يجوز عليه سبحانه فعل كل ممكن او تركه قال تعالى (وربك يخلق
 ما يشاء ويختار) ويفهم مما سبق ان الباري سبحانه ليس محلا للكميات
 المتصلة كالمقادير وهي الطول والعرض والعمق ولا المتفصلة كالأعداد
 فصفاته معها تعددت في عقولنا وافهامنا فهي واحدة في ذاته تعالى
 سميت علما باعتبار تعلقها بالمعلوم وقدرة باعتبار تعلقها على سبيل
 الایجاد وارادة باعتبار تعلقها بتخصيص الأشياء ، والداعي لهذه المقالة
 من البعض رد ما ورد عليهم من ان اعتقاد الصفات قديمة يوجب
 تعدد القدماء فيما إذا كانت صفات المعاني زائدة على الذات . والحق
 ان الممنوع تعدد الذوات القدماء كما يقول به بعض الملل وأما كون
 صفات الله قديمة قائمة في ذاته القديمة فلا يوجب تعدد القدماء
 فعليه يجوز ان نعتقد ان الصفات التي تثبت لله تعالى زائدة على الذات
 واجبة لها ولا يوجب ذلك تعدد القدماء مثاله : في الشاهد هو اننا نرى

الإنسان متصفا ومتحليا بالصفات الكمالية ومع هذا لا نرى ذاته
إلا واحدة لم تعدد وان تعددت صفاته فالحكم على الذات لا على الصفات
لأنها لازمة للذات وهذا هو مذهب أهل السنة

✽ باب في ما يجب في حق الرسل ✽

اعلم ان ما يجب في حق الرسل صلوات الله عليهم من الاخلاق
الفاضلة والتبليغ والفظانة موهوب منه تعالى على سبيل الاختصاص
ليس مكتسبا بمعنى ان النبي وان اجتهد في الرياضة الروحية والعبادات
فليس الداعي إلى نبوته هو ذلك الاجتهاد والتهيو (الله اعلم حيث
يجعل رسالته) (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع
بصير) ثم ان النبوة عندنا ضرورة مبرهن عليها من جهة حركات بنى
الإنسان الاختيارية لأنها إما ان تكون الحركات خيرية او شرية
ولا يجوز ان يميز بين الخيرية والشرية كل احد كما انه لا يجوز عدم
تمييزها من كل احد لوجود الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة
والوعظ من اهله ومشروط في ذلك معرفة الخير من الشر والحق من
الباطل والصدق من الكذب وإذا كان لا يجوز لكل احد ان
يعرف الخير من الشر ولا يجوز ان لا يعرفهما بقي ان يعرف ذلك بعض
دون بعض وذلك البعض هم الرسل صلوات الله عليهم المؤيدون من
البارئ الحكيم سبحانه ولما كانوا صفوة الخلق احوال العقل ان يتصفوا

بصفات لا تليق في منصبهم الرفيع ولهذا قال الناظم
 وصف جميع الرسل بالامانة والصدق والتبليغ والفظانه
 والحاصل انه لا يجوز عليهم الاتصاف بضد ما ذكر في هذا النظم
 من عدم الامانة وغيرها كما انه لا يجوز أن تكون الانثى من بني
 الا انسان نبيا قط والمراد بالامانة حفظ الله بواطنهم وظواهرهم من
 التلبس بمنهي عنه ولو نهى كراهة ولو حال الطفولية وهي المسماة
 بالعصمة وما يشم منه المخالفة يحمل في حقهم صلوات الله عليهم على
 ترك الاولى من باب حسنات الابرار سيئات المقربين وقرينة صرف
 ما ظاهره المخالفة هو العقل المثبت لهم كل كمال ولا يلتفت الى بعض
 المشاغبين المتمسكين بظاهر قوله تعالى (ليغفر لك الله ما تقدم من
 ذنبك) وقوله تعالى وهمت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه) وقوله
 تعالى (عفا الله عنك لم اذنت لهم) لأن العقل النير يفهم ان هذا الظاهر
 غير مراد وانه جاء على هذا النظم لاسرار اقلها ان لا يعبد الرسل من
 دون الله والمراد بالصدق في حقهم مطابقة دعواهم للواقع ونفس الامر
 ودليل المطابقة المعجزة منهم وهي امر خارق للعادة مقرونة بالتحدي
 مع عدم المعارضة على وجه يدل على صدقهم وشروط المعجزة سبعة
 الاول ان تكون فعل الله تعالى او ما يقوم مقامه من الترك والثاني ان تكون
 امراً خارقاً للنواميس الطبيعية والثالث ان يتعذر معارضتها والرابع ان

تكون مقرونة بالتحدي كما في سحرة فرعون حينما تحداهم موسى عليه السلام والخامس ان توافق الدعوة فلو قال النبي معجزتي ان احيي الموتى ففعل امرا خارقا آخر كانفلاق البحر لا نصدقه والسادس ان لا تكون المعجزة مكذبة لدعواه كأن يقول : المدعي للنبوة معجزتي ان ينطق الضب فنطق وقال له كذبت مثلا والسابع ان لا تكون المعجزة متقدمة على دعوى الرسالة والمراد بالفطانة حدة العقل وذكره فلا يجوز ان يكون الرسول مغفلا او ابلا او بليدا

تنبيه : ان بعض الناس يظنون ظن السوء بأمر المعجزة لما يشاهدونه اليوم على ايدي المشعوذين والسحرة والعالمين بخواص الكهيمياء الذين يعملون اعمالا ظاهرها انها معجز وامر خارق والحال انها من الامور الكسبية العلمية غير انها لعدم انتشارها وصعوبة قواعدها توهمها اولئك المستعدون للزندقة المدعون للفلسفة انها من جنس ما جاءت به الانبياء الكرام صلوات الله عليهم ومن قرأ ما ذكرناه من شروط المعجزة هان عليه الامر وفرق بين المعجزة وغيرها ثم ان المراد من التبليغ ايصال الاحكام التي امروا بتبليغها إلى المرسل اليهم سواء كانت بواسطة البعثات إلى البلدان مثل ارسال سيدنا علي رضي الله عنه إلى اليمن او كان بالسماع منه صلى الله عليه وسلم قال تعالى (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته)

(اي) بلغ جملة ما انزل اليك اعم من ان يكون التبليغ بواسطة او بلا واسطة وان لم تبلغ فأعظم تهديد يقال لك هو انك ما بلغت رسالته وهذا من باب

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامه

وبعض آخر يقول ان لم تبلغ الكل فما بلغت رسالته والاول اولى عندي لما فيه من التهديد المشار به إلى انه صلى الله عليه وسلم عظيم القدر عند الله وإلى ان منصب الرسالة خطير جدا وهذا في غاية البلاغة ثم ان الامر للوجوب المعين على الرسول صلى الله عليه وسلم وكذا يتعين الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد البعثة في الاشياء المعلومة من الدين بالضرورة على كل احد من اهل الشريعة الاسلامية وذلك كالنهي عن الزنا والربا ولبس الحرير والذهب وكالامر بالصلاة والصيام والحج والزكاة واما في الاشياء المختصة باهل العلم وبالايمام اعني الرئيس للمسلمين فلا يجوز لعامة الناس ان يقوموا بها وان تركها اهلها وذلك مثل من يتصدر للتدريس وليس من اهلها او ابعاد القضاة المعطلين للاحكام او نهى العلماء عن التفرق الذي لا يليق بأمثالهم وما اوجبنا لمن يقوم بهذه الشؤون في هذا الزمن ثم اننا ما اوجبنا على العالم بأن يقوم بالاشياء المختصة به إلا لانه استقي من علوم النبوة فلا ينبغي أن يدهن لاجل امر دنيوي او

يسكت عن واجب مخافة الناس وكل ظني أن من حاز هذه الثقافة
يجهر بالحق ولا يخاف في الله لومة لائم قال صلى الله عليه وسلم (ألا
لا يمنع رجلا هيبة الناس أن يقول حقاً إذا علمه) وقال سيدنا عمر رضي
الله عنه أن رقة الوجه رقة في العلم ثم أعلم أن الرسل الكرام يستحيل
عليهم الخيانة والكذب وعدم التبليغ وقلة الذكاء والفطنة ويجوز
عليهم الاعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية
وهذا من جهة ظواهرهم وأما بواطنهم فهي معمورة بالأسرار الإلهية
متعلقة بحب خالق البرية فلا يحصل منهم ضجر ولا شكوى وأعمالهم
وأقوالهم وأفكارهم كلها بالنسبة إلينا معجزات كما أن أعمالنا وأقوالنا
وأفكارنا معشر البشر بالنسبة إلى الحيوان معجزات وخوارق قال تعالى
(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي) فانظر كيف دلت الآية الكريمة على
المماثلة في البشرية ثم بينت وجه مفارقة الرسول صلى الله عليه وسلم
للبنسبة بالوحي الأمين ومما يستدل به على النبوة فضلاً عما سبق أول
الباب معرفة قرائن أحوالهم صلوات الله عليهم المفيدة للعلم القطعي
الضروري المفقودة في حق غيرهم وإيضاً مما يستدل به على ذلك
معرفة عجز النفوس البشرية من غير التأيد الإلهي المخصص بهم
صلوات الله عليهم لأنك تجد أن النبي عليه السلام نشأ في زمان
الجاهلية ومع هذا كان خلقاً صدوقاً أميناً أديباً زاهداً شفوفاً رحيماً

وهكذا سائر الانبياء صلوات الله عليهم فهم بعيدون عن الدناءة والكذب والتمويه والحاصل انه لم يتخلق عليه السلام ولا الانبياء صلوات الله عليهم بشي من اعمال اقوامهم من الوثنية وغيرها مع شدة ملاصقتهم لمن لا خلاق له لضرورة الامور المعاشية وما ذلك إلا لأنهم من اهل النبوة منحهم الله سبحانه نفوساً عالية لا تقبل الانتقاش من غيره تعالى وايضا تجد اصحاب الانبياء صلوات الله عليهم في غاية من العلم والنور والبركة والتقوى والديانة خصوصا اصحاب رسولنا صلى الله عليه وسلم قال تعالى (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم) ومن اطلع على تفسير هذه الآية الكريمة عرف ان هذا في غاية المدح لهم رضي الله عنهم اجمعين فانظر ايها القارئ الكريم هل اثرت فكرة اجتماعية كما اثاروا او رفعت عادة مما تعتاده اصحابك كما رفعوا اني لا قول عنك كلا ثم كلا فكل ما تراه ايها الاخ من عناء الصحبة والاصحاب فهو دال على فضل الانبياء واصحابهم صلوات الله عليهم ورضي الله عنهم وعدم استطاعتك لذلك لأن النفس مجبولة على شيم مهملة واخلاق مرسلة لا يستغنى بمحمودها عن التأديب ولا يكتفى بالمرضي منها عن التهذيب وليس بمستطاع كل إنسان ان يسوس هذه النفوس بسياسة عالية وشريعة قوية ومعارف عالية لأن بداهة العقل حكمة بأن جل المعارف البشرية

والعقائد الدينية والسياسات الشرعية مكتسبة فإن لم يكن في الناس معلم مويد منه تعالى ليقوى على تعليمها قصرت العقول عن درك ما ينبغي لها دركه وانقطعت عن الاستعداد لما يكون في الآخرة وساوى الإنسان في معيشتة سائر الحيوانا : والتنبية على انه ليس بمستطاع كل احد ان يسوس هذه النفوس هو ان اجسامنا في غاية الكدورة لانغماسها في العلائق الدنيئة كالإفراط في اللذات الجسمانية والعوائق الطبيعية كالأوصاف الذميمة

ثم ان صفات الباري تعالى في غاية التنزيه والتقديس ونهاية العلو والصفاء والضياء فكيف يصح في العقل ان يقبل عن الله الذي ليس كمثله شيء ذلك الإنسان المنغمس بتملك العلائق والعوائق واذا عرفت هذا ايها العاقل اللبيب فاعلم انه لا بد من اصطفاء رجال متوسطين بين الجهتين الدنيا والعليا ليقبلوا وياخذوا عن الله بكمال الصفات النبوية ومع هذا لم يخرجوا عن كونهم من جنس البشر لناخذ ونقبل عنهم نور الهداية الصمدية قال تعالى (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) اي لو جعلنا المرسل حسب شهواتهم الفارغة ومتمنياتهم الفاسدة ملكا على الفرض لجعلناه رجلا ليقبلوا عنه تعاليم الامور الدينية لأن المرسل ينبغي ان يكون من جنس المرسل اليهم حسب الحكمة والسنة فالانبياء والرسل وسائط بين الله وخلقهم يبلغونهم او امره ونواهيته ووعدته ووعيده ويعرفونهم

بما لا يعلمون من امره تعالى وما لم يعلموه من احوال خلقه ابتداءً
 وانتهاءً وعلى هذا يقتضي ان نتأدب مع هؤلاء المعلمين الذين
 وقفوا حياتهم لخدمة الحق والانسانية وما ينبغي لنا ان نقول
 فيهم الا الحق فمن الناس من يشك في باب النبوة ومن الناس
 من ينكرها وذلك من الجهل بمراميهما الاجتماعية وغاياتها الاخلاقية
 ولو كان في النبوة ادنى ريب لما ندبنا القرآن الكريم إلى الاسترشاد
 والاستبصار في الاحكام التي جاءت بها الانبياء صلوات الله
 عليهم قال تعالى (واسئلو اهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)
 لأن اهل القرآن اهل العلم هم الذين يمكنهم رفع الشبهات الاعتقادية
 والعملية عن المتشكك المتردد فالاولى بالانسان الذي هذا شأنه
 ان يكتم هذا الامر ويجعل ساعة من عمره للاسترشاد وإزالة ما
 يتوهمه من الشبهات ولا يجعله مذهباً يتبجح به امام الناس واعلم
 اننا لا نكره صاحب الشك على اعتقاد الصواب لانه لا يتأتى
 اكراه على الدين والاعتقاد لاستحالة حصول الاكراه للقلب بل
 نستنهض همته إلى السؤال والاسترشاد وقد قالوا لا يمكن اقامة الدليل
 على نفس الاعتقاد لأنه عمل قلبي وجداني ولذلك نفى الله تعالى
 جنس الاكراه في الاعتقاد الذي هو اساس الدين بقوله (لا اكراه
 في الدين) لأن الاكراه عبث تصان عنه العقلاء كل ذلك ليعمل
 المتلبس في الدين المصدق برسالة الانبياء عليهم السلام عن وجدان

حي وقلب سليم وبهذا يستفيد المكلف الانسان التهذيب
النفسي والرابطة الودية الدينية وما احوجنا اليها لأن اكثر
المسلمين لا تعرف من الدين إلا رسمه وذلك لاننا عدلنا عن نور
الهداية المحمدية انا لله وإنا اليه راجعون

- ﴿ باب القضاء والقدر ﴾ -

قد ذهب بعض الناس لكثرة استعمال المسلمين هاتين اللفظتين
إلى ان ظنوا في مفهومهما معنى الإكراه والاجبار وليست الحقيقة
كما ظنوا لأن معنى القضاء في لغة العرب التي بها خاطبنا الله ورسوله
وبها نتخاطب ونتفاهم هو الحكم ولذلك يقولون جاء القاضي
بمعنى الحاكم وقضى الله بكذا أي حكم وقد تكون بمعنى امر
كما في قوله تعالى (وقضى ربك ان لا تعبدوا إلا اياه) أي امر ان
لا تعبدوا إلا اياه وتكون ايضا بمعنى اخبر كقوله تعالى (وقضينا
اليه ذلك الامر ان دابر هو لا مقطوع مصبحين) أي اخبرناه ان
دابرهم مقطوع بالصباح وتكون بمعنى اراد وهو قريب من
بمعنى حكم كما قال تعالى (إذا قضى امرافا بمايقول له كن فيكون)
أي إذا اراد شيئاً حكم بكونه فأوجده حسب حكمه ومعنى
القدر لغة الترتيب والحد الذي ينتهي اليه الشيء تقول قدرت
البناء تقديراً إذا رتبته وحددته قال تعالى وقدر فيها اقواتها أي
رتب اقواتها وجعلها محدودة لمخلوقاته وقال تعالى إنا كل شيء

خلقناه بقدر اي برتبة وحد والحاصل معنى قضى وقدر اي حكم
 ورتب ومعنى القضاء والقدر حكم الله في شيء بحمده او ذمه
 وبكونه ووجوده وترتيبه على صفة كذا او إلى وقت كذا
 هذا ما يعتقده المسلمون اذ الحاكم والمرتب هو الله تعالى لا يخرج
 شيء عن ما قضاه وقدره كما ان المهندس لا يخرج عن ما قضاه
 وقدره من الصورة الهندسية فيما يراد بناؤه وعمارته ثم اعلم ان
 القضاء والقدر سر التوحيد وأساسه وهو معلوم من الدين بالضرورة
 فيجب على المؤمن ان يعتقد ان كل ما كان وما سيكون بقضاء
 الله وقدره وبهذا جاءت النصوص القطعية ولا التفات لبعض
 المخالفين في القضاء والقدر لأنهم تصرفوا بالدلائل وأولو الظواهر
 القواطع واعتقدوا المرجوح فيها من غير صارف ولا دليل وقالوا
 كل ما شعر ان الخير والشر من الله تعالى قضاه وقدره على العباد
 مصروف عن ظاهره ان كان ظاهرا ومخصص ان كان عاما كما في قوله
 تعالى (ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيرا لانفسهم إنما نملي
 لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين) فان البعض المخالف تصرف
 في هذه الآية الكريمة وقال ان الكلام له سبب خاص يحمل
 عليه ومراده ان هذا الإيملاء اي الامهال ليس خيرا لهم من ان
 يموتوا كما مات شهداء أحد وزعم انها منوطة بهذا السبب والبعض
 منهم يقول الكلام في الآية مبني على التقديم والتأخير واللام في

ليزدادوا للعاقبة ويكون المعنى على ذلك لا تحسبن الذين كفروا
 ان تكون عاقبتهم ازدياد الاثم إنما غلي لهم خير لانفسهم فنقول
 ان الجواب عن قولهم لها سبب خاص تحمل هي عليه هو ان
 خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ وخير التفسير ما كان عاما
 واما قولهم فيها تقديم وتأخير واللام للعاقبة فهو صرف للكلام
 عن ظاهره ووضعه وايضا (إنما) الثانية همزتها مكسورة لا يجوز
 قراءتها بالفتح مفعولا لتحسبن (وأنما) وهي الاولى في الآية
 مفتوحة لا يجوز كسرهما ولم توجد قراءة بهذا الشكل إذ عرفت
 هذا فنقول إن الإيماء مشتق من الملوقة وهي المدة من الزمان
 قال الاصمعي املئ عليه الزمان طال واملئ له امهله وهذا المعنى
 الأخير هو المراد لأن المشركين كانوا يشبطون المسلمين عن
 الخروج للجهاد فلاجل ان لا يقع احد في سوء الظن في الله ولأجل
 ان لا يقال انه لم يهلك المشركين كما اهلك من قبلهم قال تعالى
 (ولا تحسبن الذين كفروا أنما غلي لهم خير لانفسهم) الآية فثبت
 ان الإيماء اي الامهال فعل الله تعالى والاية نص قاطع في بيان
 ان هذا الامهال والتطويل عليهم ليس بخير بل هو شر
 لازديادهم في هذا الامهال إنما وذنبا ولا شك انه شر قضاء وقدره
 عليهم المقدر سبحانه حسب علمه في الازل قبل وجودهم إذ لا
 يقع في ملكه الا ما يريد وبهذا يتضح لك سر التوحيد والآيات

القاطعة بأن كل شيء من الله تعالى كثيرة منها (فإلکم فی المنافقین فتنین واللہ ارکسہم بما کسبوا أتریدرن ان تہدوا من اضل اللہ ومن یضل اللہ فلن تجد له سبیلا) نزلت فی وفد جاؤا الیہ صلی اللہ علیہ وسلم وأسلموا ثم استأذنوا فی الخروج إلی الصحراء فأذن لهم فاختلفت الصحابة رضی اللہ عنہم فی إسلامہم حیث انہم خرجوا إلی دیار المشرکین ولم یتشرعوا بصحبته صلی اللہ علیہ وسلم فأفادتنا ہذہ الآیۃ أن الإضلال فعل اللہ خلقہ وقدرہ ولیس للعبد الضال إلا ملہ ورضاء وهو المسمى بالجزء الاختیاری الذی هو مناط الثواب والعقاب ومنها قوله تعالى (وإن تصبہم حسنة یقولوا ہذہ من عند اللہ وإن تصبہم سیئة یقولوا ہذہ من عندک قل کل من عند اللہ فما ہو الا القوم لا یکادون یفقهون حدیثا) وھذہ نص فی إفادة العموم فی کل الحسنات والسیئات لأن الواقع فی سباق الشرط یفید العموم والطاعة حسنة وهي خیر والمعصیة سیئة وهي شر فتكون الآیۃ دالة علی أن جمیع الطاعات والمعاصی من اللہ وان القوم الذین تشائموا بالنبی صلی اللہ علیہ وسلم مستبعد فہم أن الكل من خیر وشر وحسنة وسیئة من اللہ القہار المعز المذل الضار النافع خالق کل شيء لا یسئل عما یفعل وہم یسئلون ولو قال قائل أن إبراہیم علیہ السلام قال وإذا مرضت فهو یشفین فنسب

المرض إلى نفسه والشفاء إلى ربه وهذا دليل على أن الخير من الله والشر الذي هو المرض من نفسه نقول هذا أدب رباني الهمة لنبيه عليه السلام في مقام العظمة والجلال لا في مقام البيان والتعليم وايضا نحن مأمورون به في مقام دون مقام التعليم لبيان العقيدة لانه لا يجوز ان نقول خالق الكلب والخنزير في مقام العظمة والمجد بل نقول خالق السماوات والأرض ذو العرش العظيم وقس على هذا كل ما جاء في القرآن الكريم فيما ظاهره المعارضة لأنه ما رجحنا الآيات التي فيها نسبة الخير والشر اليه تعالى الا ليبقى واحدا في ذاته وصفاته وأفعاله التي قام عليها الدليل في علم الكلام واما البعض المخالف القائل ان الخير منه تعالى قضاء وقدره والشر من الإنسان فقد استدل بالمرجوح من غير صارف ولا دليل وتسرب اليه ذلك الامر من عقائد قديمة لم تعهد في الإسلام لأن الأحاديث قررت الطرف الراجح في الآيات التي هي مستند اهل السنة وإجماع الامة منها ما جاء عن انس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا يجد العبد حلاوة الإيمان حتى يؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره قال أنس وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم على لحيته الشريفة وقال آمنت بالقدر خيره وشره حلوه ومره او كما قال عليه السلام فالمراد بالخير كل ما هو طاعة وبالحلو ثوابها والمراد بالشر كل ما هو معصية

وبالمرة عقابها ومنها قوله تعالى (ومن يرد الله فتنته فلن تلقه له
من الله شيئا) اي ومن يرد الله كفره وضلاله فلن يقدر احد على
رفع ما اراد سبحانه وتفسير الفتنه في الكفر والضلال دعا اليه
السياق وإلا فالظاهر انها عامة في كل ما صدق انه فتنته وقال
تعالى (وما تشاؤون إلا ان يشاء الله) اي ما تشاؤون من خير عائد
عليكم او شر لا يمكن وجوده إلا إذا شاء الخالق سبحانه وهذه
الآية اثبتت للإنسان مشيئة وإرادة تحت مشيئة الله تعالى وهو
الحق ليبقي مقام الخلق والاختراع والايجاد لله تعالى وما جعل
لك مشيئة جزئية ضمن مشيئته الكلية إلا لانه تعالى يقول (ولا
يظلم ربك احدا) (وما ربك بظلام للعبيد) قل (فله الحجة البالغة ولو
شاء لهداكم اجمعين) وقد خلق فيك ايها الانسان مثالا ينطبق على
ما قلنا وهو التنفس فانك تكون مختارا فيه بقدر وسع صدرك
وعظم رئتك فيمكنك قطع نفسك مدة حتى إذا كثرت الغازات
المفسدة في حواصل الرئة اضطرتك الحالة إلى التنفس والحاصل
ان الحرية التنفسية اضطرارية في صورة اختيار وهكذا حر كات
الانسان ظاهرها عند الاقدام على التحرك اختيار وباطنها عند
النية ومقارنة قدرة العبد للفعل اضطرار ولذا يشترط في صحة
المؤاخذة شرعا ما يشترط في صحة اداء التكليف من البلوغ
والعقل وعدم العوارض السببية والكسبية مثال السببية النوم

لأنه فترة طبيعية تحدث في الإنسان بلا اختيار منه وتمنع الحواس الظاهرة عن العمل لهذا أخر الشارع الحكيم تعلق خطابه بالاداء إلى وقت الانتباه واليقظة لأنه عاجز عن الإدراكات والاقدام على الحركات الإرادية وهكذا الإغناء فإنه أشد من النوم في فوت الاختيار والقدرة لأن النائم يمكن تنبيهه بلا معالجة بخلاف المغمى عليه ومثال العوارض الكسبية الجهل الذي يصاح عذرا كالجهل في موضع الاجتهاد الصحيح الذي لا يخالف القرآن والسنة المشهورة والاجماع فإن الجاهل بهذا المعنى لا يؤخذ كما انه لا يطلب منه اداء امر فرعي لم يتضح له وجهه إن كان من اهل الاجتهاد واما الجهل من الكافر بوحداية الله وصفاته الكمالية ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فإنه مكابرة وعناد لقيام البراهين القاطعة فلا يكون عذرا كيلا يعذب . فهذا الذي ذكرناه يدلنا على ان الله الحكيم سبحانه ماض في حكمه وقضائه وقدره عند وجود الميل والاختيار والتمييز من الإنسان فيظهره الله على يديه وينسبه اليه ويكون الإنسان بذلك محالا للعقاب والثواب ولا عذر له ابدا لأنه تعلق به خطاب الوجوب والاداء واستوفى الشروط التكليفية اما إذا ظهر ما ظهر من خير او شر ولم يكن لذلك الإنسان ميل ولا اختيار ولا تمييز فهو كما قلنا لا يخاطب بأداء التكليف كما انه لا يؤخذ لأنه كالعضو الاشل في هذا

المجتمع فيكون معذورا كالتائم الذي يشتم احد اقربائك في المنام
او يقتل نفسه فإنه لا كسب له في ذلك ولا ميل فيكون ماصدا
منه مقدرا اجراه وطبقه على يد ذلك المجنون او التائم سبحانه
وتعالى فلا يؤاخذ به عليه من حيث هو

تنبيه : إن القضاء والقدر والحكم على الممكنات وترتيبها
تابع للإرادة الإلهية أذ لا يكون وجود الكائنات والحوادث
إلا بإرادته لها فإذا قضى بوجودها ورتبها وتعلقت القدرة بها اتصفت
بالوجود حسبما قضاه وقدره وإرادته سبحانه وتعالى

ثم اعلم ان الله تعالى خلق في العبد قدرة وهذه القدرة لها
صفتان التيسير والتمكين فإذا ثبت العبد على العزم بفعل شيء
وترقى به عزمه حسب استعداده إلى القدرة الميسرة ومنها إلى درجة
التمكين درجة النية والقصد المسماة في عرف اهل الكلام
بالكسب والاكتساب يوجد الله سبحانه عند مقارنة القدرة
الممكنة الشيء المقصود للعبد ضمن دائرة القضاء والقدر التابعين
للإرادة الإلهية واعلم ان الاستطاعة في العبد اعم من التيسير
لأن كل ميسر مستطاع ولا عكس فيكون العبد حال التيسير
مستطيعا وحال التمكين غير مستطيع لأنه لا يمكن للعبد الترك عند
ايجاد الله للفعل الميسر ولا يمكن له ان يفعل إذا لم تتعلق قدرة الله
باجاد ذلك الفعل وهذا هو محل الخلاف بين من يقول ان العبد

يخلق أفعال نفسه وبين من يقول انه تعالى هو الخالق لفعل العبد عند تمكنه ومقارنة قدرته للشيء المراد والأخير هو مذهب اهل السنه وهو الحق لأنه لا خالق إلا الله الفاعل المختار الذي إن شاء فعل وإن شاء ترك ولا يجوز ان يكون فاعلا بالطبع او بالعلة لان فعل الطبيعة او العلة لا يكون إلا شيئاً واحداً غير مختلف ومن فكر في هذا العالم وتنوعه إلى انواع مختلفة عرف ان الله لا يفعل إلا عن اختيار قال تعالى (افلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكري لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جذات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج) وقال تعالى (يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة) واعلم يا أخي انه لا يجوز ان نقول بالجبر المحض بمعنى أن الإنسان مجبور مقهور في افعاله الاختيارية لأن هذا يبطل دعوة الرسل ويعطل الاوامر والنواهي والنسب الكسبية التي وردت فيها الكتب السماوية خصوصا القرآن الكريم لأننا كثيرا ما نجد الاعمال منسوبة اليها من جهة الكسب والاكتساب كما قال تعالى (من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وايضالو كان الجبر في اعمال الإنسان واقعيالكان متحركا

بلا ارادة ولو كان متحركا بلا ارادة لما صح نسبة الفعل اليه
 في الكتب السماوية ولما طلب منه الائتثار بالأوامر والإنتهاء
 بالنواهي وسخافة هو لا المعطلين تؤدي إلى نفي بعض مفردات
 من اللغة كالارادة والاختيار وغيرها لأنه لا يجوز بناء على
 مذهبهم ان يقول الإنسان اريد كذا او اختار كذا لأنهم يعدون
 الإنسان كالريشة في الفضاء تجريها الرياح حيث شاءت ثم انه
 لا يجوز ان نقول مثل قوله القدرية والمعتزلة ان اضافة الحركات
 الانسانية إلى الله تعالى ممتنعة كما ان اضافة افعاله تعالى إلى الإنسان
 ممتنعة لان هو لا القوم خبطوا خبط عشواء ولم يدققوا النظر
 في اضافة الحركات الانسانية لأن عدم جواز اضافة افعال العباد
 اليه تعالى ليس على اطلاقه كما زعموا لان الحركات الارادية في
 الإنسان لها نسبة كسبية لا تجوز ان تضاف إلا إلى من كسبها
 وهو العاقل المميز ومثال هذه النسبة نسبة كسر الخشبة إلى
 القدوم مع ان الذي كسر الخشبة هو الإنسان بالقدوم والحركات
 الإنسان ايضا نسبة وجودية لا تجوز ان تضاف إلا إلى من
 اوجدها وخلقها لانها من الممكنات والحوادث التي قام الدليل
 على انها لا توجد إلا بوجود لها وهو الله تعالى خالق كل شيء واما
 امتناع اضافة افعاله تعالى إلى الإنسان فهو صحيح ثابت عند
 العقلاء فلا ينبغي لهم ان يشبهوا الحركات الانسانية بهذا الثابت

لأن الآيات القرآنية جاءت في بيان النسبتين في الحركات الانسانية فتارة نرى اضافة الافعال إلى العبد واخرى نراها مضافة إلى الخالق الباري كما في قوله تعالى (قل كل من عند الله) اي كل من الحسنة والسيئة مضافان إلى الله تعالى على سبيل الخلق والايجاد واما الآيات التي تدل على اضافة الاعمال إلى العبد المكلف كثيرة منها قوله تعالى (من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) ولو دقق العاقل اللبيب عرف ان اضافة الحسنات اليه تعالى لكونه محسناً إلى عبادته ومنعماً عليهم بالنعيم الوافرة بلا استحقاق اصلاً (يرزق من يشاء بغير حساب) وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها . واما اضافة السيئات إلى العباد فهي لكونهم اكتسبوها بميولهم وشهواتهم ولم يجبرهم عليها احد ولا ينبغي للعاقل ان يتمسك بالقضاء والقدر ليكون معذوراً في اعماله القولية والجارية والفكرية لأنه تعالى عرف الإنسان اوامره ونواهيه على ايد الرسل صلوات الله عليهم بإنزال الكتب السماوية فهو متعبد بالأمر والنهي لا بالقضاء والقدر وإنما وجب الاعتقاد بالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى كما اعتقد السلف الصالح لأنه تعالى خالق وموجد ومريد لحركات الإنسان الإرادية ولأنه سبحانه اطلق اسماء من اوصافه وافعاله لا ينكرها احد بناء على قاعدة ان من لم يقم به وصف لم يجز ان يشتق له منه اسم منها القهار

الذي قهر الكائنات والحوادث فهي مسخرة لقضائه والقابض الذي يقبض الرزق على من اراد والخافض الذي يخفض اعداءه بالابعاد والمذل الذي يجعل من شاء ذا نقيصة بسببها يُرغب عنه ويسقط من درجة الاعتبار والمنتقم المعاقب لمن عصاه في الدنيا والآخرة والضار النافع الذي يصدر عنه النفع والضر فلا خير ولا شر ولا نفع ولا ضر إلا وهو منسوب اليه تعالى نسبة على سبيل الخلق والايجاد والعاقل هو الذي لا يحتاج إلى كثرة المقال في هذا الباب ولهذا طلب منا صاحب الناموس الإلهي محمد عليه السلام ان نمسك عن الخوض بالقضاء والقدر لأنه ناموس الحياة لا ينكره إلا مكابر فتح باب الجدل المنهي عنه لأنه مضیعة واي مضیعة ولم يدر هذا الجدلي ان في كثير من مخلوقات الله تعالى ادلة واضحة كاشفة عن ارادته تعالى وقضائه وقدره خيرا كان او شرا وذلك مثل الموت الذي لا يفر منه احد وله جهتان نسبيتان الأولى عائلية والثانية اجتماعية أما بالنظر إلى الأولى اي العائلية فهو لا شك شر ينفر منه الطبع وتنفعل منه النفس ولهذا سئل ابو حنيفة رضي الله عنه عن من يكره الحق فأجاب انه مسلم مؤمن وكان ذلك السؤال على سبيل الالغاز والامتحان والحق المكروه هو الموت وأما بالنظر إلى الثانية اي الاجتماعية فهو خير لا شك فيه ولا ينكر خيريته بالنسبة إلى المجتمع البشري في هذه الحياة

إلا جاهل او مكابر وبالتدقيق يرجع الخير إلى امر العائلة ايضا
غير ان الانسان خلق هلوعا (١) إذا مسه الشر جزوعا ولو فكر
قليلا لظهر له ان الخيرية والشرية صفتان نسبيتان كما تقرر وان
الله سبحانه إذا اراد ظهور امر عن يد الانسان تلون بما في
إنائه من الصفات وانقسم إلى شر وخير فحينئذ يمكن ان يقال
وكل إناء بما فيه ينضح والقول الفصل في هذا الباب ان نقول
ان من تتبع القرآن الكريم ومارس السنة الشريفة يعلم ان الله
تعالى انزل الصاعقة على قوم ثمود والريح العقيم المهلكة على قوم
عاد وأغرق فرعون وجنوده في البحر كما أغرق قوم نوح عليه
السلام ويعلم بالضرورة ان حلول هذه الأنواع من العذاب على
هذه الاقوام مرادة لله سبحانه قضائها وقدرها عليهم لعدم اجابتهم
للدعوة انبيائهم عليهم السلام فينبغي على من يقول ان الخير
منه تعالى قضاء وقدره والشر من الانسان او الشيطان ان ينكر
هذه الاخبار لأنه يؤخذ من سياقها ونصوصها ان هذا التعذيب
على اختلاف انواعه كان من الله تعالى وهو الذي قضاه وقدره على
تلك الاقوام لعلمه ألا بما سيكتسبونه من الصفات الرذيلة التي
ادتهم الى العناد والكفر ولا مخلص لهذا القائل وإني لا أعجب
كل العجب ممن يرى ان الله تعالى فرض الجهاد والقصاص والحدود

(١) هو الذي يزرع ويفزع من الشر

ويقول انه تعالى ارادها وقضاها وقدرها مع انها بنسبة الانسان شر ينفر منه وان كانت من الوجهة الشرعية خيرا عائدا على المجتمع البشري واذا فتحت له باب البحث في القضاء والقدر خالف ذلك كله وقال انه تعالى لا يقضي ولا يقدر الا بخير فنقول لهذا القائل ان اردت الأدب ونظرت ان الانسان هو المكتسب لهذا الأمر فنسبته اليه من هذه الجهة فمسلم ولا فقد اعتقدت ان الانسان يخلق افعاله التي لم تنسب اليه الا لأنها ظهرت على يديه واخذت الوصف شرا كان او خيرا من باب الشريعة الغراء التي جاءت اليها ممن يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فنهانا عن شيء لما فيه من قبح عائدا على النفس وامرنا بشيء لما فيه من خير عائدا عليها ايضا واذا اعتقدت ذلك فقد قصرت قضاء الله وقدره وخالفته على الخير فقط فعليك البيان واما نحن فنقول ان نسبة الاعمال كلها الى الله على سبيل الخلق والايجاد كما سبق معتقد السلف الصالح والصحابة والتابعين ولسنا بأفقه منهم في كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم لقربهم منه عليه السلام ولا في كلام العرب لوجود السايقة والملكات اللسانية المفقودة من امد بعيد لهذا اقتضى ان نقول بالقضاء والقدر خيرا وشره من الله تعالى كما قالوا ونفهم في النصوص الواردة كما فهموا ولا يجوز ان نفهم من النصوص والاحاديث فهما مستقلا يؤذي

الى ان نفسر بالرأي كما انه يؤدي الى ان نقول ان النصوص
 في هذا الباب فيها شبه معارضة كما يزعم القديرو الجبرية والحق
 انه لا معارضة غير انهم لم يهتدوا الى هذا الامر وكانهم لم يحفظوا
 الأحاديث التي تكشف لهم عن الحقيقة إزارها فيتضح لهم منار
 اهل السنة الغراء لأنها وردت مبينة لهذا الباب بأوجز ما يكون
 مع بيان فضل الله تعالى على عباده في مسئلة الهم من الانسان
 بحسنة او سيئة لم يعلمها مخافة منه تعالى لأنه كما قلنا ان الهاجس
 والهم لا يحاسب الله عليه الا بخير اذا لم يبلغ درجة النية والفعل
 مهما كان ذلك قال عليه السلام (ان الله كتب
 الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن همَّ بحسنة فلم
 يعملها كتب الله له عنده حسنة كاملة فان هو همَّ بها فعملها كتب
 الله له عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة
 ومن همَّ بسيئة فلم يعملها كتب الله له عنده حسنة كاملة فان هو همَّ
 بها فعملها كتب الله له سيئة واحدة ، قال الكرمانى فيه دلالة على
 بطلان قاعدة الحسن والقبح العقليين وان الأفعال ليست بذواتها
 قبيحة او حسنة وهذا تفسير لقوله تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر
 امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثاها وهم لا يظلمون) وجاء عن
 عمران بن حصين رضى الله عنه قال : قال رجل (اى هو نفسه) يا رسول

الله يُعرَف اهل الجنة من اهل النار قال عليه السلام : نعم قال ابن
 عمران فلم يعمل العاملون : قال عليه السلام (كلُّ ما خُلِقَ له) وفي
 رواية اخرى (كلُّ ميسرٍ لما خُلِقَ له) اي فعلى المكلف ان يدأب
 في الاعمال الصالحة ولا يتكسل على ما في علم الله فإن عمله اماراة الى
 ما يوئول اليه امره غالباً والرب يفعل ما يشاء فالعبد ملكه يتصرف
 فيه بما يشاء سبحانه وفي هذا السؤال من عمران رضي الله عنه مطالبة
 بأمر بوجوب تعطيل العبودية كما هو عند بعض المتصوفة في زماننا
 غير ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يرخص له رضي الله عنه في الاتكال
 على المكتوب وترك العمل لعدم الاطلاع على ما في الواقع ونفس الأمر
 من المكلف فهو مأمور بالاوامر ما لم يطلع على ما في اللوح المحفوظ
 وهذا لا يصح لأحد من المكلفين فعليه اطلب الرزق بالجد والعمل
 وإن كان مقسوماً وعالج نفسك بالدواء وإن كان الأجل محتوماً
 وجاء عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال كنا في جنازة في بقيع
 الغرق فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعده وقعدنا ومعه محضرة
 اي عصاة صغيرة فنكس^(١) فجعل ينكت بمخصرته اي يبحث في الارض
 على عادة العرب ثم قال : ما منكم من احد ما من نفس منقوسة الا
 وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار والا قد كتبت شقبة اوسعيدة

(١) اي طأطأ رأسه الى الارض

قال اي علي كرم الله وجهه فقال رجل يا رسول الله افلا نمكث على كتابنا اي علي ما كتبته وقدره تعالى وندع العمل فقال صلى الله عليه وسلم من كان من اهل السعادة فسيصير الى عمل اهل السعادة ومن كان من اهل الشقاوة فسيصير الى عمل اهل الشقاوة ثم قرأ فأما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسييسره اليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسييسره للعسرى واعلم ان قليلا من الخبرة يكفي في ارشادنا وهدايتنا الى انه لا بد من القضاء والقدر في كل الامور حيث اننا نرى الانسان يجب ان يعمل كل شيء كما يشاء حينما يشاء لكنه لم يتسن ذلك له لانه خاضع في ارادته لنا موسى القضاء والقدر والارادة الالهية كما انه خاضع في اعماله للوامر والنواهي الشرعية قال الناظم

يسوق اولي التنعيم نحو السعادة	وامر آله الخلق تبين ما به
او امره فيه بتيسير صنعة	فمن كان من اهل السعادة اثرت
بأمر ولا نهى بتقدير شقوة	ومن كان من اهل الشقاوة لم ينل
ولكنه مختار حسن وسوءة	ولا مخرج للعبد عما به قضى
ولكنه شاء بخلق الارادة	فليس بمجبور عديم ارادة
بها صار مختار الهدى والضلالة	ومن عجب الاشياء خلق مشيئة
كقواك هل اختار ترك المشيئة	وقولك هل اختار ترك الحكمه

هذا وان الايمان بالقضاء والقدر خيره وشره من اعظم انواع

البر وذلك لأن المؤمن به عَلَى الوجه الصحيح يلاحظ التدبير الواحد
الذي يجمع العوالم تحت هذه الدائرة المنسوخة عن علم الله تعالى
الازلي الذاتي الذي لا بد من تحقق وقوعه ولأن الانسان ايضا
يصير طامحا ببصره الى ما عند الله تعالى ويرى الدنيا وما فيها واختيار
العباد بالنظر الى قضاء الله تعالى كالصور المنطبعة في المرآة وقد نبه صلى
الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم عَلَى عظم امره من بين انواع البر حيث
قال من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فانا بريء منه وقال عليه السلام
لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم ان ما اصابه
لم يكن ليخطئه اي لم يكن لغيره ليتعداه ويتجاوزه المقدر عليه وان
ما اخطاه لم يكن ليصيبه اي وما تجاوز عنه لم يكن موجودا لئنه والحاصل
ان الانسان ما وجد في هذه الدار الا لئنه ما قدره الله عليه وان المقدر
عليه لا يتجاوز الى غيره والمقدر الى غيره لا ينال منه شيئا جف القلم
على ما قضاه وقدره الله تعالى الا اذا لطف بعبده بمح الله ما يشاء
ويثبت وعنده ام الكتاب

✽ باب القيامة والاعادة ✽

اعلم ايها العاقل ان النصوص الشرعية مستفيضة بأمر القيامة
والاعادة فلا مجال لانكارها ممن التزم الشريعة الغراء مادام مصدقا
بالرسول عليه السلام ولا يحسن بالعاقل اللبيب الا التصديق بها لأن

عود النفس الى البدن بعد مفارقتها في القيامة امر ممكن ومعلوم ان
 كل ما سوى الله تعالى فهو من الممكنات التي لا تستلزم في طرفيها
 محالا فبقي امر القيامة والاعادة دائرا تحت الامكان والوجوب طالما
 نفينا عن الطرفين الاستحالة ولا يقال يلزم على اعادتنا بعد الموت حصول
 الضد وهو الوجود والحياة بعد حصول الضد الآخر وهو الموت والعدم
 لأنه لما جاز حصول الموت عقب الحياة جاز حصول الحياة مرة اخرى
 بعد الموت بناء على ان الحكم على الضدين واحد^(١) وقد نص على ذلك
 القرآن الكريم بقوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا
 فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون) ولما كانت لذة الانسان
 وآلامه في الدنيا منقسمة الى روحانية وجسمانية وهي مأوفة له بهذا
 الشكل خاطبه الله تعالى بالنصوص القرآنية حسب الفهم من اللذة والآلم
 ليفهم عن الله مراده الا ترى ان الله سبحانه بين له اللذة الروحية التي
 هي التمكن من انكشاف الحقائق والمعارف وزاد له فيها معرفة الله على
 الوجه اللائق بكماله بحيث لا يشك بعد المعرفة ولا يستريب وذلك
 بقوله (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) وبقوله (ان المتقين في
 جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين) ولا
 يخفى ان لفظة (ما) من ادوات العموم يدخل فيها كل ما يعطى

(١) وهو ان تحكم بجواز الحياة بعد الموت كما هو محكوم بالموت بعد الحياة

ويوهب وبقوله تعالى : (لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) اي حاد نافذ ترى ما كنت غافلا عنه بهذا الكشف الذي يميّط اللثام عن الحقائق والمعارف وفي قراءة بكسر التاء والكافات الخطابية فيكون الخطاب للروح وهو ظاهر

ثم بين له اللذة الجسمانية بقوله تعالى (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابهها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون) والآيات في هذا الباب كثيرة وهكذا بين له الآلم الروحي وهو بقاؤه في ظلمة الجهالة وانحجابه عن رؤية ربه تعالى على الوجه اللائق بقوله سبحانه (كلانهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ثم بين له عقب الآلام الروحية الآلام الجسمانية بقوله (ثم انهم لصالوا الجحيم) وبقوله (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) وهذه الآية نص في حشر الاجساد والآلما ومن أنكر هذا العذاب والنعيم فقد كفر بما انزل على محمد لأن الإعادة والقيامة للعقاب والثواب ثبتت بالدليل القطعي الذي يكفر منكره . واعلم انه من العبث ان لا يكون بعد هذه الدنيا دار للجزاء يحاسب الآلئسان فيها ان خير أفخبر وإن شرافشراً لنا وجدنا ان الآلئسان لا يلحقه ما يستحقه من الخير والشر وأن أكثر الناس لا تسئوفي حقوقها

من الخصماء لحفاء الأمر مهما اجتهد القضاة في كشف تلك الجرائم الناشئة عن النزاع الذي لا بد منه في هذه الحياة الدنيا كما ان كثيرا ممن يستحق الشكر والجزاء الحسن على عمله الخيري يموت ولم يرَ من الشكر والإحسان شيئا والحاصل ان أهل القضاء وأولي الحل والعقد في هذه الدنيا لا يتسنى لهم أن يسيئوا لكل مسيء جزءاً وفاقا كما انه لا يمكن ولا يتسنى أن يحسنوا لكل محسن لأن الطاقة البشرية تعجز عن ذلك فلا بد حينئذ من حكومة فوق الطاقة البشرية لتتمكن من العلم بأحوال البرية والخليقة سرّاً وعلانية وتلك هي حكومة القيامة والإعادة قال تعالى (أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم اليينا لا ترجعون) وقال تعالى (علمت نفس ما أحضرت) وقال (إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) أي مملكان حاضران يكتبان ما يعمله الانسان في الضمير النفسي والادبي وإن كان الله عليما به وبأحواله ليجري على مقتضى العدل إذ من العدل أن لا يعذب الله سبحانه عباده بناء على علمه فيما يعملون ولأن العبد غالبا يظن بالله خيرا مثل انه رحمان عفو رؤوف وكل سبحانه كتابة الأعمال الانسانية إلى الملائكة تخويفا وزجرا للمؤمنين وافتضاحا وتبكيता لغيرهم واعلم يا أخي أنه تعالى ذكر من شكر أو شك في القيامة والإعادة بأن يبصر

في كيفية بداية نفسه وخلقته وتطوراته في ظلمة الرحم والمشيمة والدنيا لقوله تعالى (أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير) ولقوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون) كل ذلك ليحصل له العلم الحدسي بمعنى انه تنكشف له النتائج والحدود في أمر القيامة والإعادة من غير مقدمات مرتبة للانتاج هذا إذا كان من أهل النفوس المحبة لهذا الأمر المشتاقة إلى الوصول أو من أهل النفوس الزكية القوية المستضيئة بنور الفطرة يكادزيها يضيء ولو لم تفسد نار الفكرة. أما إذا كان من أهل الفكرة التي لا تنكشف له النتائج إلا بمقدمات معلومة مرتبة ليتوصل بها إلى المجهول المطلوب فقد أمره سبحانه أن يسير في الأرض لينظر كيف بدأ الله الخلق فيقيس عليه الإعادة والقيامة التي هي غاية الحياة لأن النفوس البشرية لا يمكنها أن تستكمل المقصد الأعلى وهو التجرد المحض عن كل رذيلة مع الاتصال بالحق على الوجه اللائق وتمام الفيض وانكشاف الأمور كما هي إلا إذا كانت مؤيدة وهذا خاص في حياتنا الدنيا للأنبياء صلوات

الله عليهم دل على ذلك قوله تعالى (قل سيروا في الارض فانظروا
كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير)

تنبيه

في الآية المتقدمة التي دلت على العلم الحدسي وهي قوله أولم
يروا استفهام بمعنى انكم لم تستبعدون أمر القيامة والاعادة
طالما تعلمون ايها المنكرون ولو بالجملة كيفية بدء الله الخلق المشاهد
لكم الذي سئلتهم عن خالقه في غير ما آية فقلتم انه هو الله فلا
يمكنكم هنا أن تنكروا العلم بذلك ولا أن تستبعدوا أمر
القيامة لأن من ثبت عنده المبدئ والبداية لا بد أن يثبت عنده
المعيد والاعادة والحاصل انه حملهم في الكلام على الاقرار بما
يعلمون انه تعالى هو المبدئ والخالق وإذا ثبت ذلك كانت
الاعادة منه تعالى ثابتة لأنها أهون عليه بنظرهم ولذا نزل الكلام
في الآية حسب متعارفهم ان الصانع إذا قصد تخريب صنعة ثم
أراد اعادتها يعيدها بلا مشقة كالأولى وأما في قوله قل سيروا
الآية فقد أمر المنكر أو الشاك أن يسير في الأرض أعم من
أن يسير في ذهنه أو جسمه ليحصل على العلم الفكري وتعبق
الآية الأولى بهذه إشارة إلى انه من لم يحصل له العلم الحدسي
بالقيامة والاعادة فليذهب بعقله متفكرا في كيفية بدء الخلق
الداعي الى العلم الفكري واعلم ان القرآن الكريم جامع

لأصول السعادتين ونظام الحياتين وأهم هذه الأصول ثلاثة الأول في التوحيد والثاني في النبوة والثالث في الحشر والقيامة ولا ينفك بعضها عن بعض لا في الذكر الحكيم ولا في الاعتقاد السليم وهي ثابتة نقلا وعقلا أما ثبوتها نقلا ففي القرآن الكريم والسنة الصحيحة وأما ثبوتها عقلا فقد ظهر لك يا أخي مما سبق في نور الهداية ولا يقال لو كانت القيامة التي هي من الأصول الثابتة معقولة لما كذب بها احد لأننا نقول ان العقلاء يتفاوتون في بذل الجهود لنيل المعقولات لأن منهم من يستفرغ قوته المدركة في معقول ما بلا ملل مستجمعا بشروط البراهين والأدلة فيصب كبد المسألة على الوجه الحق ومنهم من لا تساعد قوته المدركة على ذلك لتعلقها بالغواشي فلا يصل الى الغاية مع ان القيامة والنبوة لا تحتاج الى هذا كله لأنها من اليقينيّات الضرورية والمتواترات وذلك مثل قولنا مكة في الحجاز فمثل من ينكر القيامة والاعادة مثل من ينكر وجود مكة في الحجاز

﴿ تنبيه ﴾

الدار الآخرة أعني الجنة والنار موجودتان وقد أجمع المسلمون على ذلك بقوله تعالى أعدت للمتقين وقوله تعالى (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) وقد ورد في السنة الصحيحة أيضا ما يدل على ذلك وهو ان الميت يفتح له

في قبره باب الى الجنة او باب الى النار حسب عمله ويرى مقامه من الجنة والنار ولم يرد نص صريح في تعيين مكانهما والأكثر على ان الجنة فوق السماء السابعة وتحت العرش وان النار تحت الأرضين وروي ان رسول هرقل سأل النبي عليه السلام فقال انك تدعو الى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين فأين النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحانه الله فأين الليل إذا جاء النهار والمعنى والله اعلم انه إذا دار الفلك حصل النهار في جانب والليل في ضد ذلك الجانب فكذا الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفلى واعلم انه يفهم من السنة الشريفة ان اعمال الإنسان تتشبه له يوم القيامة فتشرح نفسه بما كسبه مما يلائمها فيتم بذلك نعيمها او تنقبض نفسه بما اكتسبه مما يعود عليها بالحسرة والندامة فيتم بذلك عذابها ويبدأ التشبيح لأعمال الإنسان بالحيات تلدغه من داخل نفسه وما ذاك إلا تمثل صفات الرذائل بهيئات مزعجة في نفسه الحية لأنه من المعلوم ان الأعمال مظاهر الهيئات النفسانية وشروح لها فهي موجودة منقوشة في النفس لوجود تلك الهيئات وأما ظهور العمل فهو أثر الصورة النفسية يحقق لنا عند ظهوره ان النفس قد رسخت فيها تلك الهيئة الداعية لهذا الظهور على اعضاء الانسان ومن هذه الهيئات الخزونة يأتي التمثل والتشبيح في البرزخ ابتدائيا وينتهي في

القيامة من البرزخ إلى عذاب أليم متقلبا في أنواع النيران التي
وقودها الناس ولا يقال ان مثل هذا التمثل والتشبيح بسيط بالنسبة
لجهنم والنيران الحقيقية لأننا نقول انهما دائمان أبدا لا يباد لمن قضى
عليه بالخلود في دار العذاب ويقرب من هذا حالة من استمر
نائما لا يستيقظ وقد يتمثل له في منامه المستمر أسد ينهش فيه
وحيات تلدغه ولا يتخلص مما فيه من العذاب إلا إذا استيقظ وقد
فرضنا انه نوم مستمر وهكذا بل اقوى منه حال من سكرت
نفسه وغفلت عما يقع عليها في الحياة الأخرى من أنواع العذاب
وحاصل ما تقدم انه يجب الايمان والتصديق الجازم المطابق
للوواقع بالقيامة والإعادة والصراط وأنه جسر ممدود على متن
جهنم للمرور ويجب الايمان ايضا بالميزان الذي هو مظهر العدالة
الإلهية والحساب ونشر الصحف الوجدانية التي نفتشها الملائكة
الكرام كما يجب الايمان بالبحور العينية والغلمان الذين هم خدمة
اهل الجنة وكثرة الخدم دليل على احترام المخدم

ثم يجب التصديق الجازم بالعذاب المعد لمن كفر بالله ورسوله
فلا شيء اقل من الاحتياط في اعتقاد امثال هذه الامور السمعية
لأن طريقة الاحتياط باعتقاد القيامة والإعادة الجسمانية والتأهب
لها أولى بالعاقل اللبيب لأن الكل يعرف ان الانسان إذا أخبره
أحد من الناس انه سيأتي عليه زمن يكون فيه محتاجا للقمة

يأكلها وقطرة يشربها يستعد لذلك الزمن ويقتصد في صرفياته احتياطاً وسواء عليه كان ذلك الأمر أو لم يكن لا يتضرر بشيء ولا يقال إنه قد فوت لذائذه وشهواته بهذا الاحتياط في الدنيا لأن الإنسان بشرط كونه عاقلاً لا يبالي بتفويت متاع الغرور لأحد أمرين أحدهما أنه في غاية الخساسة لأن الخنافس والديدان والكلاب مشتركة معه في الارتفاقات الدنيوية الدنيئة فلا يبالي بفواتها والثاني أن اللذات والشهوات وسائر الارتفاقات في هذه الدار متقطعة سريعة الزوال والعقل لا يرضى بها ولا يتحسر عليها ومالي كلام بعد هذا مع من لم يحتط ويأخذ بالتأهب لتلك الدار معتقداً القيامة لصدق الخبر إلا قول الشاعر :

قال المنجم والطبيب كلاهما لا تحشر الأموات قلت اليك
إن صح قولكما فليست بخاسر أو صح قولي فالخسار عليكما

— خاتمة —

اعلم أن الله سبحانه مبرز الإنسان بالأعمال الإرادية لأنه تعالى الصقها به وأحصاها على نفسه واليك ما تستأنس به تمهيداً لما نقوله بعد وهو ذكرك الماضيات من الأعمال فيما إذا كانت قريبة الطي في القوة الحافظة ولم يكدرها مرور الزمان في هذه الحياة الدنيا فتذكرها لأدنى ملابس فإياك إذا صفا الوقت وظهرت حكومة القيامة وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وانقطعت عن العلائق والعوائق

الدينية ونشرت صحف الوجدان بأوضح بيان وكشف الغطاء أنسى أم
 نذكر تلك الأعمال التي كنت هيئاتها في نفسك يوضح ذلك قوله تعالى :
 (وكل إنسان الزمان طائر في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا
 اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) وما ذلك إلا لأن الأعمال
 الإرادية والأخلاق الراسخة منبعثة من أصل النفس الناطقة ثم تعود
 إليها متشبثة بذيلها لأننا وجدنا أن الإنسان إذا عمل عملا مرة بعد أخرى
 اعتادته نفسه وسهل صدوره منها ولم يحتاج إلى روية لأنها تأثرت منه ويشير
 إلى هذا قوله عليه السلام (تعرض الفن على القلوب كالخصير عوداً عوداً
 فأني قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكتت نكتة
 بيضاء حتى تصير على قلبين أي لا تزال القلوب تعاودها الفن حتى تصير
 على قلبين أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض
 أي أحدهما مثل الصفا في البياض والآخر أسود مر بآدا أي متغيرا كالكوز
 مجحياً أي مائلاً عن طريق الاستقامة وقد شبه القلب بالكوز المائل الذي
 لا يثبت فيه الماء وكذلك القلب المائل عن المحجة الواضحة لا يعي شيئاً
 من الخير ولا يعرف معروف ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه ومن
 أجل انتقاش الأعمال في النفس المكنى عنه بالتعلق والتشبث تظهر في
 المعاد والقيامة ظهراً بنشر الصحف الوجدانية التي يقرونها كل إنسان وربما
 يزداد تعلق العمل وتشبثه في نفس الإنسان فيظهر على جوارحه مفسحاً
 عن صور الأعمال التي اكتسبها في الحياة الدنيا يوضح ذلك قوله تعالى
 (يوم تشهد عليهم السنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون)
 ومن المعلوم أن الله تبارك وتعالى لا يحتاج إلى هذا كله لأنه الغني

ولأنه علم ما كان وما سيكون وقدره على مخلوقاته ونقشه في اللوح المحفوظ
لكن مقتضى العدالة الإلهية أن لا يعذب أحداً بناء على علمه تعالى بأحوال
خلقه إلا إذا ظهرت أعمالهم في الحياة الدنيا فجعل هذه النقوش النفسية
ليخزن ما اجترح في الليل والنهار سرّاً وعلانية ثم يتمثل ذلك المخزون
وتنطق به جوارحه حسب ما في العلم الإلهي واللوح المحفوظ وربما تريد أن
تعرف شيئاً عن اللوح المحفوظ فأقول بقول الإمام الغزالي رضي الله عنه
هو خلق من مخلوقات الله تعالى منقوش فيه أعمال الخلائق وحركاتها مما
جرى وما سيجري يعبر عنه باللوح تارة وبالكتاب المبين تارة وبإمام مبين
أخرى وكله ورد في القرآن الكريم ولا تظن أن ذلك اللوح من خشب أو
حديد أو عظم أو أن ذلك الكتاب من ورق لأن لوح الكائنات والحوادث
لوح لله لا يشاهد بهذه العين وما كان لوحاً لله تعالى فلا ينبغي أن يكون
مشابهاً لما نفهمه من لفظة اللوح وهكذا كتاب الله تعالى لا يشبه كتابنا كما
إن ذاته سبحانه وصفاته لا تشبه ذواتنا وصفاتنا وإن كنت تطلب مثلاً
تقريبياً فاعلم أن ثبوت المقادير من الحركات الاختيارية وغيرها في اللوح
المحفوظ يضاهي ثبوت كلمات القرآن وحروفه المحفوظة في دماغ الحافظ
أو قلبه فكلمة قرأ القرآن نظر إليه منقوشاً في عقله ولبه ولو فنشت دماغه أو قلبه
جزءاً جزءاً لم تشاهد من ذلك المقروء أو المسموع حرفاً فمن هذا النمط
ينبغي أن نفهم كون اللوح منقوشاً بجميع ما قدره الله وقضاه

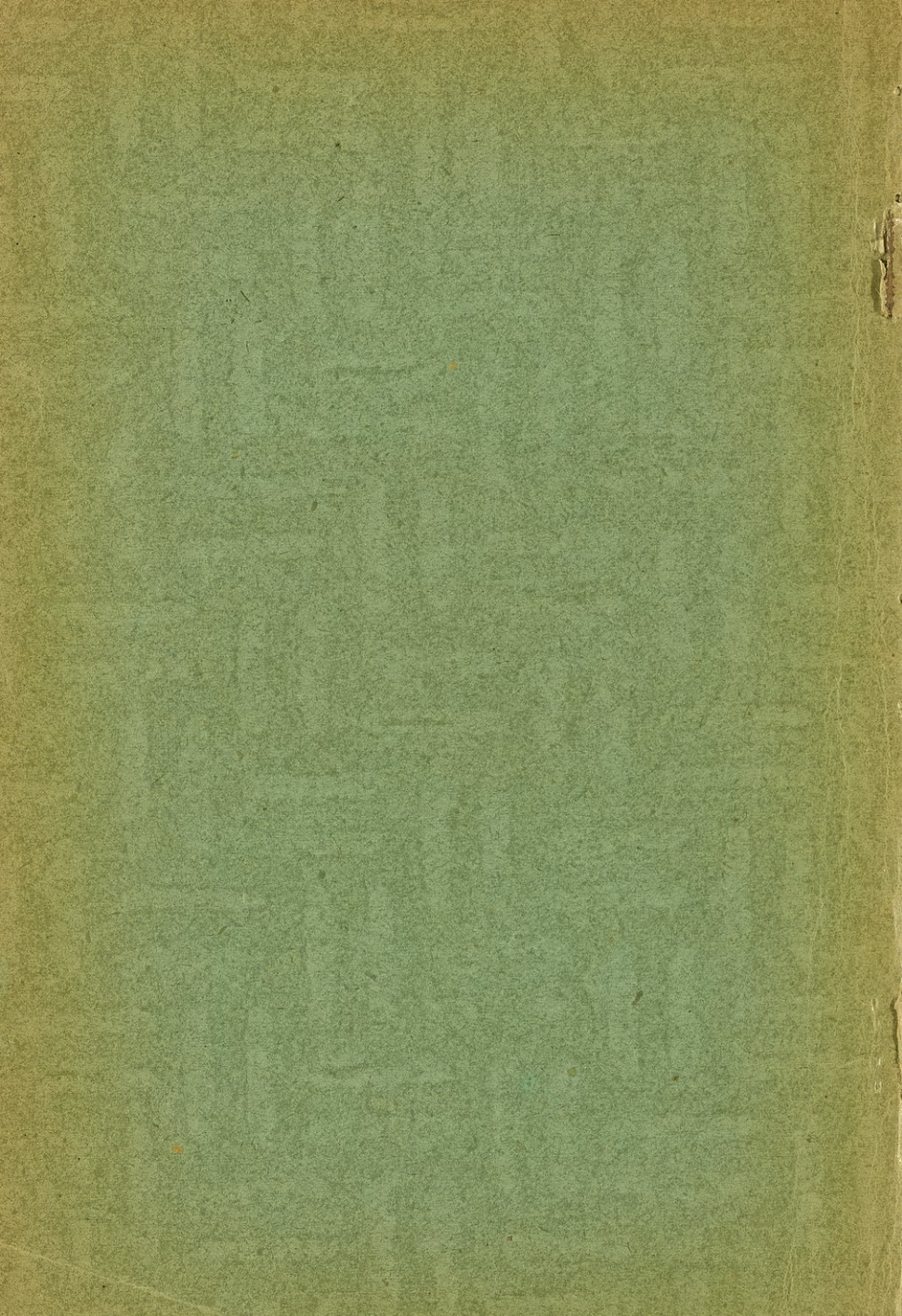
❀ سانحة ❀

اعلم يا أخي أنك إذا لم تفهم بعض مراد الشارع الحكيم في أمثال
ما سبق من الأمور السمعية كالقيامة فاطلب ذلك من عالم عارف

بالله تعالى أو اجتهد في أن تستطلع ذلك بواسطة الصيام والرياضة
 والمجاهدة لينكشف لك شيء حسب استعدادك فيما إذا كنت متعشقا
 لفهمه لأن اللطيفة النورانية في الإنسان موجهة في أصل فطرتها للألواح
 المحفوظة فإذا زالت عنها الغواشي والكدورات بقدر الطاقة وارتاحت
 في مطالعة ما وراء هذه الظواهر انتقش فيها ما كانت تستطاعه بالأمس
 لأن كل إنسان لا يكشف له إلا بعد أن يكون مستعدا لمجاهدة
 لنفسه وهواه وفي الحقيقة النفس عالمة بالقوة بكل معلوم ممكن لأنه
 منقوش فيها ذلك بمواجهتها ومقابلتها للألواح المحفوظة غير أن العوائق
 والعلائق هي التي اضطرتها لكسب العلم من الرجال بواسطة
 التلقين والسماع ولولا علمها بالقوة ما تعلمت بالفعل وما ظهر على لسانها
 شيء أبدا واطنك نريد مثلا يوضح الأمر فأقول النفس بأصل فطرتها
 كالمرآة الصافية النقية قابلة للانتقاش واللوح في جهتها منقوش فيه
 كل معلوم كما سبق لك بيانه فهو إذا كالمرآة التي فيها نقوش وصور
 فبمواجهته للنفس التي قال الله فيها (قد افلح من زكاها) ينتقش
 فيها من الصور اللوحية بحسب استعدادها واستطلاعها وارتياضها
 ويكون ذلك على مقتضى الحكمة الإلهية والتقديرات الأزلية وحيث
 فهمنا ذلك المضمون ينبغي علينا أن نتهم أنفسنا إذا لم نفهم مراد الشارع
 وحكمته ولا يجوز أن نقول في التشريع ما لا نعلم كما أنه لا يجوز أن

نتهم الشريعة البيضاء والملة السمحاء واما ما نجلده اليوم من الكلام
 الذي يتفوه به من يتحى إلى العقلاء فهو اشارة الكسل وعنوان
 الجهالة والغرور والداعي لهذا ميل البعض منا إلى التجدد حتى في
 العقيدة لأنك تجدهم لا يسلمون لنا في الأمور السمعية كالقيامه
 والقضاء والقدر والمعراج لسيدنا محمد الرسول الكريم وهم يسلمون
 لرجل يتوهم انه يمكنه الصعود للمريخ أو القمر سبحانه هذا بهتان
 عظيم وإتماما للسانحة نذكر لك تاريخ القضاء والقدر فنقول انه متفق
 عليه بين أهل الديانات السهاوية لأن نقطة دائرته قصة آدم عليه السلام
 وهي موجودة عندهم في جميع تعاليمهم ثم بعد الطوفان افترقت الخليفة
 إلى ثلاث فرق أولية فضلا عن تفاريعها وهي المجوسية والصابئة ويقال
 لهم الكلدان والثالثة اليهود ومن المعلوم لمن قرأ تاريخ الملل والنحل
 ان المجوسية والصابئة اقدم من اليهود وأنهم كانوا يعتقدون بوجود
 إلهين اثنين احدهما للخير والآخر للشر وجاء ان الصابئة ابتداء كانت
 تعبد الاجرام السهاوية وبعد ذلك اخترعوا صورا لتلك الاجرام لانها
 قد تخفى عليهم في بعض ايام السنة وعلى كل حال ما دعاهم الى ان
 يعتقدوا الاثنينية في مقام الالهية الا لانهم رأوا تعدد الأمور
 واتصافها بالشر تارة وبالخير أخرى فنسبوا الخير إلى إله والشر إلى
 إله آخر وتقررت هذه العقيدة وسرت في العقول جيلا بعد جيل

بانقراض المصلحين من الأنبياء صلوات الله عليهم وبتأثيرات زمانية وعوامل مكانية وسلطة حكومية ضيقت نطاق الحكم والفلسفة فتشابهت اقوالهم واضطربت عقيدتهم إلى زمن المسيح عليه السلام فدعاهم إلى الحق فأبى أكثر الناس الا كفورا ورجع الأمر كما كان شأن كل دعوة جديدة واضطربت من بعده الأقوال والمذاهب فأشرقت شمس معارف النبوة المحمدية في سماء العقول النورانية وتوسطت فاذا هي ظاهرة على الأديان بأصول التوحيد البدع وفروع التشريع فختمت بذلك افواه البشر من العقلاء والمفكرين عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا : وقالت اعملوا فكل ميسر لما خلق له وأمرت بالسعي والجد في الحياة الدنيا وأفهمتنا ان الدعاء والنذر والأخذ بالأسباب لا يرفع القضاء والقدر بل يوافقه ولو فكر العاقل قليلا لعلم أن القضاء والقدر من أركان الحوادث الكونية كما أنه من أركان الديانة الإسلامية ولاستهزأ بقول القائلين القضاء والقدر عقيدة العاجز كلابل هو عقيدة كل رجل اتصف بالإنسانية وعرف أنه لا يمنعه هذا المعتقد عن العمل والجد بعد أن أمر الله الناس وكلفهم ولا يأمرهم إلا بما في الوسع والطاقة لا يكلف الله نفسا إلا وسعها والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه أجمعين





LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 072539370

~~(NEC)~~

BP88

.H315

N7

1933